المبحث الثاني

جمالية الذات والشعور بالتفرد

استمر الأندلسيون على الاكتفاء بما يردهم من المشرق من شعر ونثر وأدب، واستمر هذا الإعجاب إلى آخر عصرٍ للمسلمين بالأندلس، إلا أنه مرت عليهم حقبٌ أحسوا فيها بأنهم (أندلسيون) أنجبت بلادهم علماء وشعراء وأدباء في كل فن، فاتجهت إلى ذلك أنظارهم، ووُجِدَ من يقدر أعلامهم حق قدرهم، وهذا الشعور سمي (الأندلسية)، وهو ليس معنًى إقليميًّا يطلق على الدراسات الأدبية، وإنما هو شعور واضح بابتكارات الأندلسيين في التأليف والشعر ومعرفة تاريخ الأندلس وخصائصها[1]، وألفوا حول شعرائهم لإثبات مكانتهم وذكر فضائل الأندلس وأهلها، وهناك رسائل عدة في هذا الشأن[2]، لكن هذا كله كان يطوي في بعض الأحيان شعورًا غامضًا بتفوق الأندلسيين، فهم بدأوا بإثبات المماثلة والمجاراة إلى تحقيق التفوق والمباهاة[3]. فذوات الأندلسيين أخذت تشعر بتفردها وتفوقها على أقرانها، وأنهم لا يقلون شأنًا عن الأعلام في المشرق، لكن المجتمع والبيئة هي التي لم تعطهم مكانتهم التي يستحقونها.

وحين تنقطع الروابط التي تربط الإنسان بمجتمعه وحين يواجه العالم الخارجي بوصفه ذاتية منفصلة عنه، لا بدّ من أن يحاول قهر هذه الحالة التي لا تطاق، وهو حالة الإحساس بالوحدة والغربة، لذلك عليه تحقيق ذلك بتجاوز واقعه والتمسك بحريته، لهذا نراهم يخلقون لأنفسهم عالمًا جديدًا يقوم على أسس ومبادئ إنسانية جديدة، تعبر عن قدرتهم العاطفية والحسية والعقلية، وهذا يعيد لهم ذاتهم وتوحُّدَهم مع العالم دون أن يفقدوا ذواتهم الأصلية.

إنّ الأندلسيين كانوا يحاولون الظهور بمظهر العزة والأنفة وإن كانوا في أحلك الظروف وأكثرها سوداوية، وهذا دفعهم للافتخار بالذات وشعورهم بالتفرد. وهذا أدى بهم

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٣٥-٣٦.
(٢) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ١٥٠/٣.
(٣) ينظر: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٤٤.

إلى تجويد ما يأتون به، ومحاولات التفوق على المشرق لكونهم يمتلكون من إرثهم الجمالي وإبداعهم الحضاري، فكتبوا تاريخهم من خلال مؤلفات خلدت الأندلس وأوصلت لنا الأدب الأندلسي وكل ما يتصل بها وبمبدعيها، فالأندلسي لم يكن سلبيًّا أو مقلدًا للمشرق في كل شيء، بل أنه كان ينظر له على أنه أنموذج، وحاول التميز منه والإبداع بما يضاهيه.

ونجد في المصادر الأندلسية كثيرًا من القصص حول ذكر شعراء الأندلس وكتّابها في مواطن الإجادة، في المشرق أو في موطنهم الأندلس، فالأندلسي يتحين الفرص لكي يثبت براعته وتفوقه على أهل المشرق، فهذا القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥ هـ) الذي «ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله... وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأسماع وبهر القلوب، وذلك أنّ الحكم المستنصر كان شغوفًا بأبي علي القالي، يؤهله لكل مهم في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيبًا بما كانت العادة جارية به، فلما كان ذلك الوقت وشاهد أبو علي الجمع وعاين الحفل جبن ولم تحمله رجلاه ولا ساعدَهُ لسانُه، وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد فوثب وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فندُ ... لكن صاحبه أزرى به البلدُ
لو كنت فيهم غريبًا كنت مطرفًا ... لكنني منهم فاغتالني النكدُ
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحدُ

فاتفق الجميع على استحسانه، وجمال استدراكه»[1].

في هذه الأبيات شكوى منه لمن حوله، الذين بخسوا حقه وحق أمثاله المجيدين، فالأندلسي حين يبدع لا ينسى إبراز تظلمه من عصره وما هو فيه من غربة؛ لأنه لم يعطِ حقه وشأنه الذي يستحق، فهو لا يطلب الكثير، وإنما يطلب أن تحس ذاته بأنها موجودة ولها مكانتها التي تستحق.

وأمّا إذا أحسّ الأندلسي عدم اعتراف المشارقة به، نراه يرد عليهم من خلال موازنة نتاجه بنتاج المشرق، وهذا كثير في المصادر الأندلسية ولا سيما فيما يذكر من

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ٦٢٠/٢-٦٢١. الفند: الخرَف وإنكار العقل من الهرم أو المرض، أو هو ضعف الرأي من هرم. ينظر: لسان العرب: مادة (فند).

رحلاتهم للمشرق، ومنها ما يرويه الحميدي في جذوة المقتبس عن سعيد بن أحمد بن خالد (ت ق٤ هـ)[١] الذي له رحلة للمشرق، «يحكى أنه لما رحل إلى المشرق لقيه بعض الأدباء بمصر واستنشده لأهل الأندلس، فأنشده ففضل بعض التفضيل، إلا أنه قال: لا تخفى أشعاركم إلى جانب أشعارنا، كما لا يخفى البدر في سواد الليل، فقال له سعيد: صدقت، أين لأهل الأندلس بمثل قول أبي نواس الحسن بن هانئ؟ وأنشده أبيات يحيى بن حكم الغزال الثلاثة، وهي قوله من قصيدة طويلة يعارض بها الحسن:

ولمّا رأيتُ الشَّربَ أكدت سماؤهم ... تأبطتُ زقي واحتسبتُ عنائي
فلمّا أتيتُ ألحان ناديتُ ربّهُ ... فثابَ خفيفَ الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين إلا تعلّة ... على وجل مني ومن نظرائي

فلما سمعها المصري طرب واهتز، وقال: لله در الحسن، فلما أكثر قال له: الشعر والله ليحيى بن حكم الأندلسي، وإنما أردت تجربة نقدك، والنقض عليك، فرد ذلك وأذكره حتى صح ذلك عنده، فخجل وأظهر التعجب، ولم يراجع بعد في أشعار أهل الأندلس»[٢].

إنّ الشاعر الأندلسي كي يلفت إليه الأنظار كان يستخدم صيغة الخطاب، ونجده يكثر من عبارة (قالوا) و(فقلت) أو غيرها من العبارات الدالة على صيغة الخطاب، وفي هذا رغبة نفسية بحب التفرد ولفت الأنظار إليه، وهذه صورة من صور إظهار الذات والشعور بالتفرد[٣].

فهذا شاعرنا يوسف بن هارون الرمادي يستعطف ممدوحه، ويدعوه للوقوف للشهادة له بشدة الحب وإنكار لائميه بكاءه على ديار حبيبته (خلوة)، إذ يقول:

قِفُوا تَشهدُوا بَثّي وَإنكار لائِمي ... عَليَّ بُكائي في الرّسوم الطّواسِمِ
أَيأمنُ أَن يَعدو حَريقَ تَنفسي ... وَإلا غَريقًا في الدُّموع السَّواجِمِ
خُذوا رَأيه إن كانَ يَتبعُ كُلَّ مَن ... يَنوحُ عَلى ألافه بِالملاومِ
فَهَذا حَمامُ الأَيكِ يَبكي هَديلَهُ ... بُكائيَ فَليفزَع للومِ الحَمائِمِ
وَما هِيَ إِلا فرقَةٌ تبعث الأَسى ... إِذا نَزلت بِالناس أَو بِالبَهائِمِ

(١) سعيد بن أحمد بن خالد. من أهل العلم والأدب، له رحلة إلى المشرق. ينظر: جذوة المقتبس: ٣٥٥/١، بغية الملتمس: ٣٩٢/٢.
(٢) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ٣٥٥/١-٣٥٦، وينظر: ديوان يحيى بن حكم الغزال: ٢٩.
(٣) ينظر: مرج الكحل الأندلسي سيرته وشعره: ٣٥.

خَـلا نـاظِري مِـن نَومِـهِ بَعـدَ خلـوة مَتـى كـانَ منـي النَّـومُ ضَـربَةَ لازِمِ[1]

استعمل الرمادي أسلوب الأمر في قوله: (قفوا) لغرض الالتماس، وقوله في البيت الآخر (خذوا) و(فليفزع) بمعنى التمني، وهذا لكسب عطف الأمير وكرمه، فنرى ذاته وما تعانيه من ألم الفراق وهو في غربة لأنه ملام على ما يفعل، لهذا نراه يعلل فعله بسؤال الحمام عن نوحها، وما يبعثه هذا السؤال من ألم وفرقة تلازم هذا السؤال وصوت هذا الطائر المعروف بحزنه وبكائه. ومثله قول ابن زيدون:

يُوَلّـونَني عُـرضَ الكَراهَـةِ وَالقِلـى وَمـا دَهـرُهُم إِلّا النَّفاسَـةُ وَالغَمْـطُ
وَقَـد وَسَـموني بِـالَّتي لَسـتُ أَهلَهـا وَلَـم يُمـنَ أَمثـالي بِأَمثالِهـا قَـطُّ
فَـرَرتُ فَـإِن قـالوا الفِـرارَ إِرابَـةٌ فَقَـد فَـرَّ موسـى حـينَ هَـمَّ بِـهِ القِـبطُ
وَإِنّـي لَـراجٍ أَن تَعـودَ كَبَـدئِها لِـيَ الشـيمَةُ الزَّهـراءُ وَالخُلُـقُ السَّـبطُ
وَحِلـمُ امـرِئٍ تَعفـو الـذُنوبُ بِعَفـوِهِ وَتُمحـى الخَطايـا مِثلَمـا مُحِـيَ الخَـطُّ[2]

الشاعر يبرئ ذاته من الخيانة والهروب وهي من سمات الجبن، معللاً بفعل سيدنا موسى عليه السلام، وهو يرجو أن تعود إليه عزته ومكانته التي كان عليها، فلغة الخطاب هنا تبرز من خلال المحاورة والمثال، فهو يحاورهم ويعلل فعلته بمثال من القرآن. وذات الشاعر تحاول بعد خفوت ذكرها ـ وهو مذبوذ ومسجون بقرطبة ـ إلى إبراز ها من خلال جذب الأسماع والأذهان إليه كي تنشغل به وتعرف أخباره.

وابن عمار الأندلسي الذي نراه يفتخر بالحب في قوله:

جـاء الهـوى ـ فاستشعروه ـ عـارُه ونعيمُـهُ ـ فاسـتعذبوه ـ أوارُه
لا تطلبـوا فـي الحـب عـزًّا إنّمـا عبدانُـهُ فـي حكمـهِ أحـرارُه
قـالوا أضـرَّ بـك الهـوى فـأجبتُهم يـا حبـذاه وحبـذا أضـرارُه
قلبـي هـو اختـار السّـقام لجسـمهِ زيَّـا فخلّـوهُ ومـا يختـارُه[3]

نراه من خلال تكرار كلمة (قلب) أكثر من مرة في هذه القصيدة، يدل على حبه للممدوح وإظهار تفرد ذاته بذلك، مهما أضرَّ به وسمع الملامة من أجله، فهو يتمنى هذا

(١) شعر الرمادي: ١٢٠-١٢١.
(٢) ديوان ابن زيدون: ٦٤. إرابة: الإربة والإرب: الحاجة. أي إذا احتاج إلى الشيء وطلبه. ينظر: لسان العرب: مادة (أرب). السبط: نقيض الجعد المستوي. ينظر: لسان العرب: مادة (سبط).
(٣) محمد بن عمار الأندلسي: ٢٢٠.

الأمر، فذاته (قلبه) هو من اختار السقام لجسمه ـــ بحبه للممدوح ـــ (فخلوه وما يختاره).

ونرى المعتمد بن عباد يردُّ على من أشار عليه بالخضوع والاستعطاف يوم خلعه، يقول:

لَمّا تَماسَكتِ الدُّموعُ ... وَتنبّهَ القَلبُ الصَّديعُ
قالوا: الخُضوعُ سياسَةٌ ... فليبدُ مِنك لَهُم خُضوعُ
وَأَلَذُّ مِن طَعمِ الخُضو ... عِ عَلى فَمي السّمُّ النَّقيعُ
إن يسلب القَومُ العِدا ... مُلكي وتسلمني الجُموعُ
فالقَلبُ بَينَ ضُلوعِهِ ... لَم تسلم القَلبَ الضُّلوعُ
لَم أُستَلب شرفَ الطبا ... عِ أَيُسلَبُ الشَّرفُ الرَّفيعُ
قَد رُمتُ يَومَ نِزالِهِم ... أَلا تُحصّنَني الدُّروعُ
وَبَرَزتُ لَيسَ سِوى القَميـ ... ـصِ عَلى الحَشا شيءٌ دفوعُ
وَبَذَلتُ نَفسي كَي تَسيـ ... ـلَ إِذا يَسيل بِها النَّجيعُ
أَجَلي تَأَخَّرَ لَم يَكُن ... بِهَوايَ ذُلّيَ وَالخُضوعُ
ما سِرتُ قَطُّ إِلى القِتا ... لِ وَكانَ مِن أَمَلي الرُّجوعُ
شِيَمُ الأُلى أَنا مِنهُمُ ... وَالأَصلُ تَتبَعُه الفُروعُ[1]

إنّ ذاته الحرة ترفض الذلة والخضوع، فأعداؤه قد يسلبون ملكه ويغدر به جمعه، لكن قلبه (ذاته) هو من يدفعه لهذا الشعور، وهو شعور يريد إيصاله من خلال إفهام من حوله، إنّ ذاته وتفردها تأبى عليه الاستسلام للذلة وطلب العفو من أعدائه، فتبرز جمالية الذات المتفردة عنده، فالشاعر الأندلسي و هو في أحلك الظروف التي يمر بها، يتمسك بعزة النفس والكبرياء، فذاته تأبى أن تسام بما يثلم كيانها المتمثل في كبريائها وأنفتها وشجاعتها.

ونجد ابن حزم الأندلسي يقول:

وذي عذلٍ فيمن سباني حسنُهُ ... يطيلُ ملامي في الهوى ويقولُ
أفي حسنِ وجهٍ لاحَ لم ترَ غيرَهُ ... ولم تدرِ كيف الجسمُ أنتَ عليلُ
فقلت له: أسرفت في اللوم فاتّئدْ ... فعنديَ ردٌّ لو أشاءُ طويلُ
ألم ترَ أنّي ظاهريٌّ وأنّني ... على ما أرى حتى يقومَ دليلُ[2]

(١) ديوان المعتمد بن عباد: ٨٨-٨٩.
(٢) ديوان ابن حزم الأندلسي: ١١٧.

نراه يعلل عشقه بمذهبه الذي يعتنقه، وهو الأخذ بالظاهر.

إنّ الشاعر الأندلسي الذي كوّن الذات فيما تقدم اعتمد على أسلوب الخطاب المباشر والحوار الصريح لإقامة الحجة وتعليل أسبابه، ولم تكن مقصورة على جانب واحد، بل شملت مجالات عدة منها الحب والشجاعة والفخر... وغيرها مما اشتملت عليه الذات وشعورها بالتفرد لدى الشاعر الأندلسي.

وللشجاعة والإقدام في المواقف الصعبة ولا سيما في ساحات القتال أثر في الشعر الأندلسي، فقد كان التغني بالشجاعة والجهاد والصبر والحق والعدل أقوى من التغني بأية فضيلة أخرى.

إنّ الذات حين تعطي مثالاً لتفردها في مثل هذه المواقف تُكوِّنُ ماهيّتها المتجسدة، وتعطي تفردها في وجودها من خلال تكوين شخصية الشاعر التي هي رمز للذات الجماعية.

فهذا المنصور بن أبي عامر (ت٣٩٢هـ) يوصي أن يكتب على قبره:

آثارُهُ تُنبيكَ عن أخبارِهِ ... حتى كأنك بالعيانِ تراهُ
تاللهِ لا يأتي الزمانُ بمثلِهِ ... أبدًا ولا يحمي الثغورَ سواهُ[1]

إنّ المنصور أراد الفخر بشجاعته وعلو شأنه حتى بعد مماته، فذاته تأبى الاندثار والخفوت عند الموت، فهي ترجو البقاء من خلال ذكر أفعاله وما بناه من مجد وحضارة، فهو وحيد زمانه ومتفرد عن كل من جاء قبله، وليس بعده مَن يفعل كما فعل هو. والمتتبع لأحداث الأندلس التاريخية يعلم أنّ قول المنصور بن أبي عامر هذا صحيح، فخلال حقب حكمه وسطوته أوصل حكم المسلمين وسلطتهم إلى مدن وأماكن لم تصل قبله إليها أيديهم، فنجد صدق دعواه بهذا التفرد، وصدق نبوأته؛ لأنّ من جاء بعده لم يجلب للأندلس غير التفرقة والضعف.

وهذا ابن زيدون يفتخر بشجاعته وصلابته التي تضاهي وتفوق صلابة السيف الهندي، فذاته شُجاعة ثابتة هي أصلب من أي شيء، يقول:

أبى ذاكَ أنَّ الدَّهرَ قَد ذَلَّ صَعبُهُ ... فَسُنِّيَ مِنهُ بِالَّذي نَشتَهي العَقدُ
أَنا السَّيفُ لا يَنبو مَعَ الهَزِّ غَربُهُ ... إِذا ما نَبا السَّيفُ الَّذي تَطبَعُ الهِندُ

(١) نفح الطيب: ٣٩٨/١.

بَـــدَأتَ بِنُعمـــى غَضَّـــةٍ إِن تُوالِهـــا ... فَحُســـنُ اللآلـــي فـــي أَن يُوالِيَهـــا سَـــرِدُ
لَعَمـــرُكَ مـــا لِلمـــالِ أَســـعى فَإِنَّمـــا ... يَـرى المـالَ أَسـنى حَظِّـهِ الطَّبـعُ الوَغـدُ
وَلَكِـــن لِحـــالٍ إِن لَبِســـتُ جَمالَهـــا ... كَسَـوتُكَ ثَـوبَ النُصـحِ أَعلامُـهُ الحَمـدُ[1]

وينزه الشاعر نفسه عن الطمع بالمال، وإنما يريد راحته كي يعطي أجمل ما يخرج للوجود من قول (الشعر) فيعلي مكانة ممدوحه من خلال النصح وإعلائه لمجده، فهو (ذاتهـ) متفرد في إلباس الممدوح حين يسر حاله بجمال القول والنصح.

وهذا القاضي أبو القاسم العبادي (ت٤٣٣هـ)[2] جد المعتمد بن عباد يقول:

ولا بـد يومًـا أن أسُـوْدَ علـى الـورى ... ولـــو رُدَّ عمـــرو للزمـــانِ وعـــامرُ
فمـا المجـدُ إلا فـي ضـلوعيَ كـامنٌ ... ولا الجـــودُ إلا مـــن يمينـــيَ ثـــائرُ
فجـيشُ العـلا مـا بـين جنبـيَ جائـلٌ ... وبحـرُ النـدى مـا بـين كفـيَ زاخـرُ[3]

إنّ الشاعر في صراعه من أجل تحقيق الذات المتفردة في المجد والجود يراهن على نفسه بالسيادة مهما طال أو ظهر أي شخص في أي زمن، فهو وحيد زمانه، وهو الذي يستحق السيادة والتقدم، وهذا حصل مع ذريته التي تشاركه في تفردها وذواتها المتميزة من باقي الناس. فالمعتضد (ت٤٦١هـ) يقول في هذا الشأن:

حميـتُ ذمـارَ المجـدِ بـالبيضِ والسّـمرِ ... وقصّـــرتُ أعمـــارَ العـــداةِ علـــى قَسْـــرِ
ووسّـعتُ سُـبْلَ الجـودِ طبعًـا وصـنعةً ... لأشـياءَ فـي العليـاءِ ضـاق بهـا صـدري
فـلا مجـدَ للإنسـانِ مـا كـان ضـدَّهُ ... يشـاركُهُ فـي الـدهرِ بـالنهيِ والأمـرِ[4]

ويشير في البيت الأخير إلى أنّ الطموح يمكن أيضًا أن يكون صفة لأي شخص، ولكن ما من أحد في عصره كان يستطيع أن يشعر بمثل هذا التوتر الكبير، فهو كان يطمح

(١) ديوان ابن زيدون: ٣٥.
(٢) محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي القاضي، أبو القاسم، كان ذا همة عالية طامحًا للمعالي، لذا اصطنعه القاسم بن حمود وقلد القضاء. ينظر: الحلة السيراء: ٣٤/٢-٣٦، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٦٧.
(٣) الحلة السيراء: ٣٨/٢.
(٤) ديوان المعتضد بن عباد، (بحث): ١١٤.

أن يجمع كل شبه الجزيرة تحت إمرته، حتى إنّ اللذات لم تستطع أن تثنيه عن خططه ومشاريعه(١)، يقول:

أنـامُ ومـا قلبـي عـن المجـدِ نـائمُ ... وإنّ فـؤادي بالمعـالي لَهـائمُ
وإنْ قعـدت بـي علـةٌ عـن طِلابِهـا ... فـإنّ اجتهـادي فـي الطِّـلابِ لقـائمُ
يعـزٌّ علـى نفسـي إذا رُمـتُ راحـةً ... بـراحٍ، فتثنينـي الطبـاعُ الكـرائمُ
وأسـهرُ ليلـي مفكـرًا غيـرَ طـاعمٍ ... وغيـريَ علـى العـلّات شـبعانُ نـائمُ
ينـادي اجتهـادي إن أحـسّ بفتـرةٍ: ... ألا أيـن يـا عبّـادُ تلـك العـزائمُ؟
فتهتـزٌّ آمـالي وتقـوى عزيمتـي ... وتـذكرني لـذاتهنّ الهـزائمُ(٢)

إنّ ذات الشاعر القلقة من استباقه إلى المجد وعزمه الشديد في أن يتفرد في نيل المعالي، دفعه إلى طلب العلى وترك ملذات الدنيا من نومٍ وراحة وهناء، فأمله وعزمه يذكّرانه ويقوّيانِه ويحذّرانِه مَن (اللذة) فهي تورد الهزيمة للإنسان وتثبط عزيمته.

هذا الطموح نراه عند ابنه المعتمد أقل شأنًا وأكثر اعتدالاً في رغباته، لكن الشموخ وعدم الرضا عن سياسة الخضوع الذي أراده له بعض أنصاره كي ينجو من الموت، فشموخ العربي واضح لديه، فهو يفضل الموت بعزة من دون الحياة بذل و هوان، فذاته وما كانت تطمح إليه من تفرد تأبى عليه هذا الخضوع والذل، يقول:

كَـم وقعـة لـي فـي الأعـداء واضِـحَة ... تَفنـى اللّيـالي وَمـا يَفنـى لَهـا الخبـرُ
سارَت بِها العيسُ في الآفاقِ فانتَشَرَت ... فَلَـيسَ فـي كُـلِّ حَـيٍّ غَيرهـا سَـمَرُ
لازلـتَ ذا عِـزّةٍ قَعسـاءَ شـامِخَةٍ ... لا يَبلُـغ الـوَهمُ أَدناهـا وَلا البَصَـرُ(٣)

إنّ ذات الشاعر تنهره وتقوي عزيمته وشجاعته عن الراحة، و هذا مشابه لما كان عليه أبوه المعتضد، فالوهن والاستسلام له لا يجلبان للإنسان سوى الضعف والاتكال على الغير الذي لا يجدي نفعًا، فذاته تأبى إلا أن يكون متفردًا وذا عزيمة قوية كي ينال المجد الذي يريده.

وهذا عبد الجليل بن وهبون يقول:

(١) ينظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية: ٣٧٨.
(٢) ديوان المعتضد بن عباد (بحث): ١١٢-١١٣.
(٣) ديوان المعتمد بن عباد: ٤٠، وينظر: ٨٨. قعساء: القعس نقيض الحدب وهو خروج الصدر ودخول الظهر. ينظر: لسان العرب: مادة (قعس).

وإنـــي لفـــي دهـــرٍ فـــرائسُ أُســـدِهِ ... ســـدًى عبثـــتْ فيـــه نيـــوبُ كـــلابِ
أتخفـــى علـــى الأيـــام غُـــرُّ منـــاقبي ... وقـــد بـــذَّ شـــأوي شـــأوَ كـــلِّ نِقـــابِ
ويركبُنـــي رســـمُ الخمـــولِ وقـــد غـــدتْ ... خصـــالُ العـــلا والمجـــدِ طـــوعَ ركـــابي
ســـأرقى بهمـــاتي قصـــارى مراتبـــي ... وإنْ كـــان أدناهـــا يطيـــلُ طِلابـــي
لـــتعلمَ أطـــرافُ الأســـنّةِ أنّنـــي ... كفيـــلٌ بهـــا عنـــد الصـــدا بشـــرابِ
وتشـــهدَ أطـــرافُ اليراعـــاتِ أنّنـــي ... بهـــنَّ مصـــيبٌ فَصْـــلَ كـــلِّ خطـــابِ
ولـــيس نـــديمي غيـــرَ أبـــيضَ صـــارمٍ ... ولـــيس ســـميري غيـــرَ شـــخصِ كتـــابِ[1]

إنّ أهم صنعة كان يفخر بها ابن وهبون هي الشجاعة وحب الحرب والبطش بالأعداء، فذاته تطمح إلى نيل المعالي، وكما عند من ذكرنا سابقًا نراه ينبذ الخمول والراحة لأنها تثنيه عن المجد، فالهمّة في طلب التفرد من خلال أطراف الأسنّة كفيلة لديه بإطالة الهمة والمنزلة مع أنه يقول إنّ أقصر منزلة لديه هي أعلى من أي منزلة لدى الآخرين، هنا نرى شعوره بالتفرد والتعالي لديه بشكل قوي، ولديه مقطوعة شهيرة يفخر فيها بقدرة ذاته على تذليل الصعاب وعلو همته وشأنه واستخفافه بالمتاعب، فهو يحاكي بذلك المتنبي (ت٣٥٤هـ) في كبريائه وشموخه وعزة نفسه[2]، يقول:

بينـــي وبـــينَ الليـــالي هِمّـــةٌ جلـــلُ ... لـــو نالهـــا البـــدرُ لاســـتخذى لـــهُ زُحَـــلُ
ســـرابُ كـــلِّ يبـــابٍ عنـــدها شَـــنَبٌ ... وهـــولُ كـــلِّ ظـــلامٍ عنـــدها كحـــلُ
مـــن أيـــن أبخَـــسُ لا فـــي ســـاعدي قِصَـــرٌ ... عـــن المعـــالي ولا فـــي مِقْـــوَلي خَطَـــلُ
ذنبـــي إلـــى الـــدهر إنْ أبـــدى تعنُّتَـــهُ ... ذنـــبُ الحســـامِ إذا مـــا أحجـــمَ البَطَـــلُ
يـــا طالـــبَ الـــوفْرِ إنّـــي قمـــتُ أطلُبُهـــا ... علیـــاء تغنّـــى بهـــا الأســـماع والمُقَـــلُ
لا كـــانَ للعـــيشِ فضـــلٌ لا يجـــودُ بـــهِ ... يكفـــي المهنّـــدَ مـــن أســـلابهِ الخلَـــلُ[3]

إنّ ظاهرة الأنفة وشكوى الدهر هي من السمات البارزة لدى الذات الأندلسية وسعيها للتفرد والشعور بهذه الأمور هو الذي يقوده للتذمر من عصره ومجتمعه، فذاته تعيش في غربة عن كل شيء سوى عن ما تملكه من علم أو شجاعة أو أي صفة تميزه من غيره، وتعطي لذاته تفردها. فهذا ابن حزم يفخر بعلمه والتفوق به، إلا أنّ عيبه أنه من أهل المغرب الذين لم يكتب لهم الشهرة كأهل المشرق، يقول:

---

(١) شعر ابن وهبون المرسي (رسالة ماجستير): ١١٧-١١٨. الشأو: الغاية والأمد، أو المدى. ينظر: لسان العرب: مادة (شأو).
(٢) ينظر: دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام: ١٠٩.
(٣) شعر ابن وهبون المرسي (رسالة ماجستير): ١٤٦-١٤٧.

سـموتُ بنفسـي لا بمجـدٍ هَـوَتْ بـهِ ... مـنَ الـزمنِ الغـدّارِ آلاتُـهُ الحُـدْبُ
وإن شـئت أخبـار الـدهورِ فـإنّني ... أنـا جـامعُ التـاريخِ مـذْ نَبَـتَ الهَضْـبُ
يسـافرُ علمـي حيـثُ سـافرتُ ظاعنًـا ... ويصـحبُني حيـثُ اسـتقلّتْ بـيَ النجـبُ
أنـا الشـمسُ فـي جـوِّ العلـومِ منيـرةٌ ... ولكـن عيبـي أنّ مطلعـي الغـربُ
ولـو أننـي مـن جانـبِ الشـرقِ طـالعٌ ... لجد علـى مـا ضـاع مـن ذكـري النّهـبُ
ولـي نحـو أكنـاف العـراق صـبابةٌ ... ولا غـرو أن يسـتوحشَ الكلـفُ الصَّـبُّ
فـإن يُنـزِلِ الـرحمنُ رحلـيَ بيـنهم ... فحينئـذٍ يبـدو التأسُّـفُ والكَـرْبُ
وكـم قائـلٍ أغفلتُـهُ وهـو حاضـرٌ ... وأطلـبُ مـا عنـه تجـيء بـه الكتـبُ
هنالـك يـدري أنّ للعبـدِ قِصّـةً ... وإنّ كسـادَ العلـمِ آفتُـهُ القـربُ[1]

والشاعر ابن حداد الأندلسي (ت٤٨٠هـ) يفخر بعلمه وذكره الذي تتناقله الآفاق، متعجبًا ممن يطعن بعلمه ويتجاهله، يقول:

عَجِبْـتُ لِغَمَّـازِيْنَ عِلْمِـي بِجَهْلِهِـمْ ... وإنَّ قَنـاتِي لا تَلِـيْنُ علـى الغَمْـزِ
تَجَلَّـتْ لهـمْ آيـاتُ فَهْمِـي ومَنْطِقِـي ... مُبَيِّنَـةَ الإعجـازِ مُلْزِمَـةَ العَجْـزِ[2]

ويقول أيضًا:

إلى الموتِ رجعي بعد حينٍ فإنْ أمُتْ ... فقـد خُلِّـدَتْ خُلّـدَ الزمـانِ منـاقِبي
وذِكْـرِيَ فـي الآفـاقِ طـارَ كأنّـه ... بكـلِّ لسـانٍ طِيْـبُ عـذراءَ كاعِـبِ[3]

إنّ هذا الشاعر يحاول إثبات علمه وردّ من ينكر هذه الخصلة بأنها هي التي تميز ذاته وهي التي أعطته تفرده مهما حاولوا ثنيه، فذِكره قد انتشر من خلال انتشار علمه في الآفاق، وحتى الموت لن يثني ذاته وتفردها، فالمناقب والمآثر خالدة خلد الزمان.

وتتكرر ملامح الغربة لدى ابن دراج القسطلي، فبلاده لم تُؤوِهِ والزمان لم يوفِّه حقَّه، فهو يشعر أن الأندلس لم تعطه مكانته، لكن أرض العراق (المشرق) ترحب به لأنها تعرف قيمته وعلو شأنه ومدى تفرده وأصالته، يقول:

فَـإنْ غَرَّبَـتْ أرضُ المغـاربِ مَـوئِلي ... وأنْكَرَنِـي فِيهَـا خَلـيطٌ وخِـلّانُ
فكَـمْ رَحَّبَـتْ أَرْضُ العِـراقِ بمقـدمي ... وأَجْزَلَـتِ البُشْـرى عَلـيَّ خُراسـانُ
وإنَّ بـلادًا أَخرجَتنِـي لَعُطَّـلٌ ... وإنَّ زَمانًـا خـان عَهـدي لَخَـوَّانُ

(١) ديوان ابن حزم الأندلسي: ٣٥.
(٢) ديوان ابن الحداد: ٢٢٣. الغمز: العصر والكبس باليد. يقال: غمز القناة إذا عضها وعصرها.
(٣) م. ن: ١٥٤.

سَـلامٌ عَلَـى الإِخـوانِ تَسـليمَ آيـسٍ وسُـقيًا لِـدَهْرٍ كَـانَ لِـي فِيـهِ إِخْـوانُ(١)

أمّا ابن شُهيد فقد كان مزهوًّا بنفسه؛ لأن ذاته وشعور التفرد لديه ربما يكون هو وابن حزم الأندلسي أعمق من غيرهما؛ لأنهما قطعا مع محاكاة النماذج المشرقية التي كان الآخرون عبيدًا لها، وهما كانا يطمحان إلى تعبير أدبي أكثر انتماءً إلى زمنهما والمكان الذي يعيشان فيه، تعبير أكثر مباشرة وأكثر اتصالاً بالأندلس(٢)، فأبدع ابن شهيد في التوابع والزوابع وأبدع ابن حزم في طوق الحمامة، كما أبدعا في شعريهما، بهذا نجد تفرد ابن شهيد من مسلّمات شخصيته وذاته وما تطمح إليه، فها هو هنا يحاجج من يخاطبه ويفخر بذاته في أنها لا تثنيه حوادث الدهر وتخرجه عن حلمه، فهو لا ينزل منزل الجهلاء، فالعلم والعفاف مفخرة لديه وهي تميزه من الناس جميعًا، يقول:

وَمـا أَلانَ قَنـاتِي غَمْـزُ حادِثـةٍ ولا اسْـتَخَفَّ بحِلْمِـي قَـطّ إِنْسَـانُ
أَمْضِـي علـى الهـوْل قـدْمًا لا ينهنِهنـي وأَنثنِـي لسـفِيهي وهْـو حـرْدانُ
ولا أُقـارِض جُهـالاً بِجهلِهِـم والأَمْـر أَمْـرِي والأَيـام أَعْـوانُ
أُهِيـب بالصـبْرِ والشـحْناءُ ثـائِرة وأَكظِـم الغـيْظ والأَحْقـاد نيـرانُ
وَمـا لِسـانِيَ عِنـد القـوْمِ ذو ملـقٍ ولا مقـالِي إِذا مـا قلـت إِدْهـانُ
ولا أَفـوه بغيْـرِ الحـق خـوْف أخِـي وإِنْ تـأَخر عنـي وهْـوَ غضـبانُ
بـالعِلمِ يفخـر يـوْم الحفـلِ حامِلُـه وبالعفـافِ غـداة الجمْـعِ يـزدانُ(٣)

وأما ابن عمار فإنّ بذور التمرد كانت متمكنة في نفسه، بسبب الحقبة المضطربة التي كانت تعيش فيها الأندلس في عصره، وكذلك اعتداد ابن عمار بنفسه وفخره بحنكته السياسية، لذا نرى ذاته وشعورها بالتفرد واضحًا لديه، فهو لا يرى أنه مدين لسيده (المعتمد بن عباد) بشيء؛ لأنه من أدار الدولة وأوسع من نفوذها، فإليه الفضل في ذلك كله، وهنا نرى عنصر التعالي والتفرد واضحًا في نفسه وفي شعره(٤)، فها هو يقول مفاخرًا بنفسه:

---

(١) ديوان ابن دراج القسطلي: ٨٩. الموئل: المنجى وهو الملجأ. لسان العرب: مادة (وأل)، عُطِّل: أي بلا سمة أو لا حُليَّ عليها. لسان العرب: مادة (عطل).
(٢) ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ٦٠٧/١.
(٣) ديوان ابن شهيد الأندلسي: ١٦١. النهنهة: الكفّ، تقول: نهنهتُ فلانًا إذا زجرتَهُ فتنهنَه: أي كففته فكف. لسان العرب: مادة (نهنه). حردان: متنحٍ معتزل. لسان العرب: مادة (حرد).
(٤) ينظر: محمد بن عمار الأندلسي: ١٢٤.

إنـي ابـنُ عمـار لا أخفـى علـى أحـد ... إلا علـى جاهـلٍ بالشـمس والقمـرِ
وبـين طبعـي وذهنـي كـل سـابقةٍ ... كالسـهم يبعـد بـين القـوس والـوترِ
إن كـان أخّرَنـي دهـري فـلا حـرجٌ ... فوائـد الكتـب. .. فـي الطـررِ[1]

ويقول من قصيدة أخرى في الفخر بنفسه والزهو بذاته:

علـيَّ وإلا مـا بكـاءُ الغمـائمِ ... وفـيّ والا مـا نيـاحُ الحمـائمِ
وعنّـي أنـارَ الرعـدُ صـرخةَ طالـبٍ ... لثـأرٍ وهـزّ البـرقُ صـفحةَ صـارمِ
ومـا لبسـتْ زهـرُ النجـومِ حِـدادَها ... لغيـري ولا قامـتْ لـهُ فـي مـآتمِ[2]

إنّ ذاته المضطربة تدعوه إلى السعي للتفرد، من خلال الحكم والملك، فهو يستجدي من عناصر الطبيعة وما حوله، وهي التي تعرف مكانته أن تنوح وترثي حاله وما جره إليه طموحه من سجن ومهانة، وهي (ذاته) التي كانت تأبى الذل.

وأما ابن عباد فإنه حين أحس بدنوّ أجله رثى نفسه وأوصى أن تكتب على قبره أبيات، وهي:

قَبـرَ الغَريـب سَـقاكَ الـرائِحُ الغـادي ... حَقّـا ظَفَـرتَ بِأشـلاء ابـن عَبّـادِ
بِـالحِلمِ بـالعِلمِ بِـالنُّعمى إِذِ اتّصـلَت ... بِالخَصـبِ إِن أَجـدَبوا بـالري لِلصـادي
بالطـاعِنِ الضـارِبِ الرامـي إِذا اقتَتَلـوا ... بِـالمَوتِ أَحمَـرَ بالضـرغامةِ العـادي
بالـدَّهرِ فـي نِقَـمٍ بِـالبَحرِ فـي نِعَـمٍ ... بِالبَـدرِ فـي ظُلَـمٍ بِالصَّـدرِ فـي النـادي
وَلَـم أَكُـن قَبـلَ ذاكَ الـنَّعشِ أَعلَمُـهُ ... أَنَّ الجِبـالَ تَهـادى فَـوقَ أَعـوادِ[3]

فالشاعر يسرد صفاته التي اتصف بها من حلم وعلم وجود وشجاعة وغيرها من الصفات التي تميزه وتعطيه شعور التفرد. إنّ ابن عباد وهو الذي فقد ملكه ونُفي وهوى نجمُه يحاول حين وفاته أن يذكره الناس ويذكروا مكانته، فذاته تأبى أن يُنسى وهو الذي قد ملأ دنيا الشعر والشعراء بقوله وعطاياه، وهو الذي كان فريد زمانه بهذا، والشعراء لم يبخسوه حقه، فقد مُدح وهو في منفاه لا يملك من العطاء شيئًا ورُثِيَ بعد موته كذلك. إذن هذا دليل على تفرد ذاته وعلو شأنه ومكانتها بين الناس في زمانه.

(١) محمد بن عمار الأندلسي: ٢٤٥.
(٢) م. ن: ٢٠٩.
(٣) ديوان المعتمد بن عباد: ٩٦.

ويفخر أبو بكر بن الملح (ت٥٠٠ هـ)[١] بحلمه الذي يورده مورد النجباء ويرفع مكانته، فهو لا يقابل من يسيء إليه بالإساءة، بل يترفع عن ذلك كي يحس بالتفرد والتميز بعدم ارتكاب الإساءة كما ارتكبت بحقه، فيقول معاتبًا:

لقد ظلمتْني أمةٌ ما خَمَشْتُها ... بلحظٍ وقد عَمَّتْ حشاي ندوبا
توهمتُهم سلمًا فسولمتُ ظاهرًا ... وشَبّوا على ظهرِ المغيبِ حروبا
وثقتُ بهم في النائباتِ فأخلفوا ... وكانوا إلى جنبِ الخطوبِ خطوبا
فكم صاحبٍ منهم يبيت بقلبهِ ... بعيدًا ويغدو باللسانِ قريبا[٢]

ويقول في أخرى:

نشرتُ للحمدِ طيبًا عن شذا نفسٍ ... بعثتهُ عن ضميرٍ غيرِ متّهَمِ
فنوّرتْ بالقوافي روضةٌ أُنُفٌ ... في تربةِ العقل تُسقَى وابلَ النّعَمِ
ليَ الثوابُ فلم أرجعْ لمشكلةٍ ... عن اليقينِ ولم أعكفْ على صنَمِ
لي همّةٌ ما يزال الدهرُ يطلبُها ... وما تزالُ من التأميلِ في حَرَمِ[٣]

إنّ ذات الشاعر وشعورها بالتفرد واضحان في هذين النصين، فشعره هو الطيب الذي يخرجه للناس، وقوافيه نورٌ للرياض التي حولهم، وذاته ــ وإن تقدم به العمر ــ لها همة في العطاء لا يستغنى عنها، وهو لم يسر في حرام، لهذا نراه غير مكترث بالخصوم؛ لأنّ ذاته مترفعة عنهم، فهو يبعدها عنهم؛ لأنها تحس بالتفرد، و هذا الشعور جعله مترفعًا حتى عن مجاراة الخصوم أو كل من يمس ذاته أو كيانه بالصفح الجميل عنه.

إنّ الأندلسيّ حين سماعه شعر المشرق لم يبق مبهوتًا أمامه، بل أراد مجاراته والتفوق عليه، فشعراء الأندلس من خلال معارضاتهم للمشارقة أرادوا إثبات ذواتهم وتفردها، فابن عبد ربه عارض قصيدة مسلم بن وليد (ت٢٠٨هـ) التي يقول فيها:

أديرا عَليَّ الراحَ لا تَشرَبا قَبلي ... وَلا تَطلُبا مِن عِندِ قاتِلَتي ذَحلي[٤]

(١) أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي: من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملاح، كان له ابنان هما أبو القاسم أحمد وأبو محمد عبد الملك وقد رويا عنه، وهو شاعر وخطيب ماهر. ينظر: القلائد: ٥٥٨/٢، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق٣٤٠/٣/٢، والمغرب في حلى المغرب: ٣٨٣/١.

(٢) شعر ابن الملح أبي بكر محمد بن إسحاق اللخمي (ت٥٠٠ه) (بحث): ٣٢١. الخمش: الخدش على الوجه، وقد يستعمل في سائر الجسد. لسان العرب: مادة (خمش).

(٣) م. ن: ٣٣٢.

(٤) ديوان صريع الغواني: ٣٣. الذحل: الثأر. ينظر: لسان العرب: مادة (ذحل).

فعارضه ابن عبد ربه بقوله:

أَتَقْتُلنـــــي ظَلَمًـــا وتجحَـــدُني قَتلـــي … وقـد قـامَ مِـن عينيـكَ لـي شـاهِدا عَـدْلِ
أَطُـلَّابَ ذَحلـي لـيسَ بـي غَيـرُ شـادنٍ … بعينيــهِ سِـحرٌ فـاطْلبوا عنـده ذحلـي(١)

أراد من معارضته لشعر المشرق التفوق عليهم، ومن ثَمّ إثبات ذاته الأندلسية وإظهار مقدرته في ذلك، وهو ما أشار إليه في كتابه العقد الفريد حين قال: «فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده إلا بفضل التقدم»(٢).

إنّ الشاعر الأندلسي لم يبقَ مقلّدًا أو تابعًا ذليلاً لما يأتي من المشرق، بل صار مبدعًا ومحرّرًا لذاته، عاصيًا على قيود التبعية، لذا نراهم يثبتون جدارتهم في مثل هذه المعارضات التي تبين طلب ذواتهم لهذا التفرد. لكن هذا لم يكن مهيأً للجميع، فهناك من الشعراء من أخفق في معارضته، وهناك من كان يعتذر عن المعارضة لعجزه، كما حدث مع صاعد البغدادي (ت٤١٧ هـ)(٣) حين طلب منه المنصور بن أبي عامر معارضة قصيدة لأبي نواس وهي (أجارة بيتنا أبوكِ غيورُ)(٤) فأبى صاعدٌ إجلالاً لأبي نواس، وقال:

إنِّــــــي لَمســــــــتَحي عُــــــــلاَ … كَ مِـــنَ ارتِجَـــالِ القَـــولِ فِيــــهِ
مَــــن لَــــيسَ يُـــدرَكُ بِالرَّويْـــــ … ــــيَةِ كَيــــفَ يُــــدرَكُ بِالبِدِيــــهِ(٥)

لكن المنصور أصر عليه فجاءه من الغد فأنشده قصيدته التي أولها:

خـــدالَ البـــرى إنـــي بِكُـــنَّ بصــيرُ … طـــوتكُنَّ عنـــي خُلْسَـــةٌ وقتيـــرٌ
وباتـــت كمـــا باتـــت مهـــاةُ خميلـــةٍ … لهـــا جُـــؤذَرٌ عنـــد الصِّـــراةِ عقيــرُ(١)

---

(١) ديوان ابن عبد ربه: ١٣٢.
(٢) العقد الفريد: ٢٤٦/٦.
(٣) صاعد بن الحسن الربعي اللغوي، أبو العلاء البغدادي، من الوافدين إلى الأندلس من المشرق في أيام هشام ابن الحكم المؤيد وولاية الحاجب المنصور بن أبي عامر، كان عالمًا باللغة والآداب والأخبار حسن الشعر، له كتاب الفصوص الذي لم ينل مكانته عند المنصور لذا ألقي في النهر. ينظر: جذوة المقتبس: ٣٧٣/١، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق١٠/٧/٤، وبغية الملتمس: ٤١٣/٢، ونفح الطيب: ٧٥/٣.
(٤) ينظر: شرح ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: ٣٨١.
(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق٢٠/٧/٤.

إنّ المنصور أراد من صاعد أن يكون مبدعًا وأن لا يعجزَهُ شيء، فالمهم أن يحاول، فإنْ أخفق لا يعد ذلك مثلبة، وإن أجاد فله الفضل والتفرد بذلك. إذن كان حكام الأندلس وخلفاؤها هم من شجع الشاعر على تكوين ذاته وإبراز موهبتها من خلال سعيها لتفردها ومجاراة المشرق، بل والإبداع والتفوق.

إننا نجد من حكام الأندلس وأمرائها من كان يفرض تقليد المشرق على شعرائهم، فلا يتقدم عنده سوى من أجاد فيه، فهذا المظفر بن الأفطس (ت٤٦٠ هـ)[٢] صاحب بطليوس يقول: «من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت، ولا يرضى بدون ذلك»[٣]، وهذا ما دعا كثيرًا من الشعراء كما ذكرنا سابقًا إلى الشعور بالغربة من خلال التقليل من شأنهم، فهم لا ذنب لهم سوى أنّ الأندلسي ينظر لما هو مشرقي بعين الإجلال، وينظر إلى ابن بيئته بعين التبعية والتصغير لا بعين التفضيل والمساواة وإعطائه المكانة التي يستحقها.

إنّ عنصر الجمال موجود في كل عصر وحين، ولا يتأتى إلا لمن يشعر به ويذحي ذاته عن كل ما يشوبها من أمر، ويقلل من شأنها، فالذات الإنسانية هي من تعطي للشاعر المكانة وهي التي تميزه ممّن سلب منه ذاته، ليس بسجن، أو فقر، أو أي أمر آخر، وإنما تسلب الذات حين يفقد صاحبها الشعور بالتفرد والضياع.

فالشاعر من خلال لغة الذات وصراعه مع نفسه ومع الآخر يكون مذهبه في الحياة وتكون روابط مع ذوات الآخرين التي تعطيه المكانة عندهم والثقة بإبداعه في نفوسهم ومشاعرهم.

لقد عبر الأندلسيون عن ذواتهم وشعورهم بالتفرد، من خلال ما قدمنا من نماذج حاول فيها أصحابها مخاطبة الناس وإشعارهم بأهمية الأندلسي وقيمته، من خلال ألفاظ المخاطبة وأسلوب الحوار، وإعطاء صفات الشجاعة والإقدام والبأس في المواقف

---

(١) م. ن: ق٢٠/٧/٤. خدال: الخدْل: الغليظ الممتلئ الساق. لسان العرب: مادة (خدل)، البرى: التراب. لسان العرب: مادة (بري)، والعقير: هو قطع إحدى قوائم الحيوان قبل النحر. لسان العرب: مادة (عقر).

(٢) المظفر محمد بن عبد الله ين محمد بن مسلمة بن الأفطس، وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع، وله التصنيف المسمى (المظفرية) في خمسين مجلدًا، تولى الحكم بعد أبيه، فاستقامت أموره لشجاعته وفضله. ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٣٦٤/١، وتاريخ إسبانية الإسلامية (أعمال الأعلام): ١٨٣، ونفح الطيب: ٤٦٦/٤.

(٣) تاريخ إسبانية الإسلامية أو (أعمال الأعلام): ١٨٤.

الصعبة، فمعرفتهم العلمية ونفسياتهم العزيزة هي التي تأنف عن احتمال الضيم، وكذلك رأينا في معارضاتهم للمشرق كيف استطاعوا إثبات ذواتهم إبداعًا أو إخفاقًا.

فالإبداع شهد لهم بالحسن والأصالة، والقصور اعترف لهم بالمحاولة الجادة للذات التي تريد الخروج من كل ما هو مألوف ومعروف. ومن هنا كان الأندلسي مبدعًا وأصيلاً ومتميزًا، وكشفت ذاته عن ذلك الإبداع والتميز من خلال شعرها الذي عرفه الكثير، وتغنى به الناس من أهل المشرق قبل غيرهم.